المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

# تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

## عنوان البحث

**الطرق والأساليب في تحقيق تعظيم الله**
**من خلال هدايات سورة طـــه**

اسم الباحث

**أ / خالد نزال الحربي**

خالد بن نزال الحربي

# الطرق والأساليب في تحقيق تعظيم الله

## من خلال هدايات سورة طه

# المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ خير الخلق أجمعين، إمام المتقين، وحامي حمىٰ الدين، أعلم الناس بالعلي العظيم ذي الجلالة المتين، وأشدهم له خشية وتعظيمًا وإجلالًا ﷺ، ونحن إن شاء الله المقتفون أثره الرَّاجون ما هدي إليه من عظيم تعظيمه،،

أمَّا بعد؛ فإنَّه ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا القرآن الكريم هو من عند الله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، وهو منزَّه عن كل باطل ونقص، تنزيل من ربّ العالمين، قال تعالىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فُصِّلَت]. كتاب عربي مبين، قال تعالىٰ: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزُّمَر]. كتاب هداية، قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢]. معجزٌ في آياته وبيانه وأحكامه، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء]. والقرآن علىٰ ما جاء فيه من أخبار وقصص وأحكام= جاء فيه وصفٌ لأمور عظيمة، فقد وصف الله ﷻ نفسه وكتابه ونبيه وفضله لعباده المؤمنين بالعظم، وفي هذه الأوصاف لهذه الأمور لها دلالات ومعانٍ وسأبين بإذن الله تعالىٰ طرق وأساليب تعظيم الله تعالىٰ المستنبطة من هدايات سورة طه بمزيد من الإيضاح والبيان.

## التمهيد

العظيم لغة: مأخوذ من عَظُمَ يَعظُم عِظَمًا، وهو خلاف الصغر، والمعنىٰ يدور حول: الكِبَر والقوة والشدة والكثرة والفخامة وعلو المنزلة والمكانة، وكذلك يطلق علىٰ الأمر الشاق والصعب، وعلىٰ النخوة والزهو.

جاء في (تهذيب) الهرويِّ: أن العظمة تدور حول: النخوة والزهو وعلىٰ الهول والهيبة والشدة، فكما قال العلماء: العظمة: التعظم والنخوة والزهو، واستعظمت الأمر إذا أنكرته، ويقال العظيمة الملمة الشديدة، وقالوا أيضًا: أعظمني ما قلت أي هالني وعظم علي، وقالوا أيضا: تعاظمني الأمر أي تهيبني الشيء وتهيبته[1].

وقال ابن فارس في (معجم المقاييس): «(عَظَمَ) العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل علىٰ كِبَر وقوة، فالعِظَم: مصدر الشيء العظيم، تقول: عَظُمَ يَعْظُمُ عِظَمًا، ومُعْظَمُ الشيء: أكثره. والعَظِيمَة: النازلة المُلِمَّة الشديدة»[2].

قال الأسود التميميُّ[3]:

إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

وقال الرَّاغب في (المفردات): «وعَظُمَ الشيء أصله: كبر عظمه، ثم استعير لكل كبير، فأجري مجراه محسوسًا كان أو معقولًا، عينًا كان أو معنًىٰ، والعظيم إذا استعمل في الأعيان فأصله: أن يقال في الأجزاء المتّصلة، والكثير يقال في المنفصلة، ثم قد يقال في المنفصل عظيم، نحو: جيش عظيم، ومال عظيم، وذلك في معنىٰ الكثير»[4].

وقال ابن منظور في (لسان العرب): «والعِظَم: خلاف الصغر، عَظُم يَعْظُم عِظَمًا وعَظَامة: كبر، وهو عظيم وعظام، وعظم الأمر: كبره، وأعظمه واستعظمه: رآه عظيمًا»[5].

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٨٢)، انظر: معجم اللغة العربية المعاصر (٢/ ١٥١٩).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥).

(٣) البيت للأسود بن سريع، انظر: البيان والتبيين (١/ ٣٦٧)؛ وبلا نسبة في لسان العرب (١٢/ ٤١٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥).

(٤) المفردات (١/ ٥٧٣).

(٥) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٠٩).

وقال زين الدِّين الحنفيُّ في (مختار الصِّحاح): «عَظُم الشيء يَعْظم عِظمًا أي كبر فهو عَظيم وعُظام أيضًا بالضمّ، وعُظْمُ الشيء بوزن قُفْل: أكثره ومعظمه، وأعظم الأمرَ وعظَّمه تعظيمًا، أي: فخَّمه، والتَّعظيم: التَّبجيل. واسْتَعْظَمَ، وتَعَظَّمَ: تَكَبَّرَ»(١).

وجاء في (معجم اللغة العربية المعاصر): «عظَّم الشخص: كبَّر، فخَّم، علت مكانته. عَظُم الأمرُ عليه: صَعُب، وشقّ»(٢).

واصطلاحًا: يرتبط هنا بالمعنىٰ اللُّغوي، ولكنه يختلف من موضع لآخر حسب الموصوف في القرآن، فالعظيم في القرآن الكريم علىٰ قسمين:

١- قسم وصف الله به نفسه وهو اسم من أسمائه فهو ﷻ عظيم لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته، فمعنىٰ العظمة هنا هي كل ما تعنيه من كبر وقوة وفخامة وعلو للمنزلة والمكانة والنخوة والزهو، فالله ﷻ له صفات الكمال من غير تشبيهٍ بالمخلوقين، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ].

٢- وقسم وصف الله به عدة أمور بالعظم، منها: القرآن العظيم، وخلق النبي ﷺ، وجزاء الله للمؤمنين وعقابه للكافرين، ومنها: وصف معجزة موسىٰ، وغير ذلك.

فعظمة القرآن في نظمه وبيانه واعجازه وشرفه فهو من العليم الخبير ﷻ وهذا يتناول المعنىٰ من جهة المكانة والمنزلة ومن جهة القوة في مصدره وفي معناه، فهو من الحكيم الخبير، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت].

### أهمية تعظيم الله تعالى

إنَّ تعظيم الله ﷻ عبادة واجبة، بل هي روح العبادة، فالتعظيم يكون في القلب بالإجلال والخوف والمحبة، وفي الجوارح بفعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، وهو الباعث علىٰ النظر الصحيح للخلق، فهم مربوبون ضعاف لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، فتعظيم الله يورث للمسلم العزة والقوة ويبعده عن المذلة والنفاق.

ومن أسمائه تعالىٰ العظيم: العظمة صفة من صفات الله، لا يقوم لها خلق، والله تعالىٰ خَلَقَ بين الخَلْق عظمة يعظم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يعظم

(١) مختار الصحاح (١/ ٢١٢).
(٢) معجم اللغة العربية المعاصر (٢/ ١٥١٩).

لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنىٰ دون معنىٰ، والله ﷻ يعظم في الأحوال كلها[١].

وممَّا يدل علىٰ وجوب تعظيم الله أنه سبحانه ذم من لم يعظمه، قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، أي: مالكم لا تعظمون الله حق عظمته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾: منزلة التعظيم، وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فكلما كان الإنسان أكثر علما ومعرفة بربه زاد تعظيمه وإجلاله لله تعالىٰ، وقد ذم الله تعالىٰ من لم يعظمه حق عظمته، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]. قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وروح العبادة: هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلىٰ أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء علىٰ المحبوب المعظم، فذلك حقيقة الحمد، والله سبحانه أعلم»[٢].

ثم شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان درجات تعظيم الله ﷻ، منها: تعظيم الأمر والنهي بكمال الامتثال وعدم الغلو، وتعظيم حكمه تعالىٰ وقضائه، وتعظيم الحق ﷻ بدعائه والتقرب له وحده كما أمرنا في كتابه العزيز وسنة رسوله ﷺ[٣].

وعظمة الله ﷻ لا تحد ولا تكيف، فالله عظيم في كل شيء وفي كل الأحوال، عظيم في نفسه وذاته، وعظيم في تشريعاته في أمره ونهيه وحكمه وعظيم في بديع صنعه وخلقه، عظيم حقيقة من كل الوجوه، فهو عظيم كما وصف نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ، ويجب علىٰ العباد أن يعلموا ذلك من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، يقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وقد بين الله ﷻ ودلل علىٰ عظمته في القرآن الكريم وسنة نبيه محمد ﷺ في مواضع عدة.

جاء في أعظم آية في القرآن ارتباط اسم الله العلي مع اسم العظيم؛ ليدل علىٰ معنىٰ جميل ذكره البقاعي عند قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن في ارتباط اسم العلي مع اسم العظيم دلالة علىٰ أن هذا العظم عالي الرتبة لا تدرك العقول حقيقته»[٤].

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤١).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣).
(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).
(٤) انظر: نظم الدرر (٣/ ٣٦).

وجاء في (الصَّحيحين): من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشَّفاعة، وفيه: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب جل جلاله يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (٩/ ١٦٤، ح٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٠، ح١٩٣).

## الطرق والأساليب في تحقيق تعظيم الله تعالى من خلال هدايات سورة طه

١ – الاعتناء بتلاوة كتابه وتدبر آياته:

إن من أهم ما يصرف فيه الوقت خصوصًا في هذا الزمان، تدبر كلام الله الواحد المنان ذو العظمة والكبرياء، معتقدًا قبل ذلك أن الله جَلَّجَلَالُهُ هو المتكلم بهذا الكلام العجيب المحكم البليغ لا يخالطك في ذلك شك ولا ريبة، وأن كلامه هذا صفة من صفاته ﷻ كما سمعه وبصره، نزلّه جَلَّجَلَالُهُ علىٰ قلبه ﷺ ليكون من المنذرين قال تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾[طه].

تشعرك هذه الآية الكريمة من سورة طه منذ الوهلة الأولىٰ عند تدبرها علىٰ عظمة الله تعالىٰ، فلفظ النزول من قوله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾، فيه إشارة إلىٰ علو الله تبارك وتعالىٰ علىٰ كافة خلقه، والنزول لا يكون إلا من علو.

وفيه دلالة علىٰ علو منزلة هذا الكتاب العظيم، وسمو هدايته، وذلك لعظمة من أنزله سبحانه وتعالىٰ.

فالتعبير بالإنزال عن تلقي رسول الله ﷺ وسلم للقرآن يشعر بقوة معنوية يلمسها المرء في تصور كل هبوط من أعلىٰ، وفي ذلك دلالة علىٰ علو منزلة القرآن، وعظمة تعاليمه، التي حولت مجرىٰ حياة البشرية، وأحدثت فيها تغييرًا ربط السماء بالأرض، ووصل الدنيا بالأخرة، وتفيد وضع المُظهر موضع المضمر للتبجيل وللتفخيم تعظيمًا له، وأنه هو السُّلمُ في نيل كل فوزٍ وسعادة، ومن حُرم فهو الشقي الخائب الخاسر[1] .

فهلا يتدبر المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلَّهم علىٰ عظمته ولدلهم علىٰ كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلىٰ المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلىٰ الله، وإلىٰ جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلىٰ العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلىٰ الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل[2] .

---

(١) انظر: فتوح الغيب (١٠ / ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٧٨٨) بتصرف يسير.

٢- التفكر في مخلوقات الله جَلَّجَلَالُهُ:

إن من أقوىٰ الطرق والسبل في تحصيل عظمة الله تعالىٰ النظر في كتاب الله المنظور، ترىٰ عظمة الله في آياته ومخلوقاته مما تطلع عليه بعينك من الذرة إلىٰ المجرة ومن الفرش إلىٰ العرش من سماء وجبال وأشجار وبحار وأنهار، قال تعالىٰ علىٰ لسان كليمه موسىٰ مجيبًا عن سؤال فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه]، فأجابه بإجابة تستثير في نفسه عظمة ربه وتكسر كبر نفسه الضعيفة فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه]، لكن هذه الآيات مع وضوحها لا يوفق للإيمان بالله من خلالها إلَّا أصحاب العقول النيرة التي تطلب الحقّ وتسعىٰ إليه قال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه]، لذوي العقول الرَّزينة والأفكار المستقيمة، وخصَّ الله أولي النُّهىٰ بذلك، لأنّهم المنتفعون بها، النَّاظرون إليها نظر اعتبار، وأمَّا من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة، لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلىٰ المقصود منها، بل حظهم، حظ البهائم، يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة، قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف].

ولذلك ربط الله تبارك وتعالىٰ لبيان عظمته وبين خلق السموات والأرض وبين تنزيل كتابه لتدرك النفوس عظمة خالقها وباريها سبحانه وتعالىٰ قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه]، ومن تفكر أدرك من خلال ذلك عظمة ربه جَلَّجَلَالُهُ.

٣- الاعتناء بتحقيق توحيد الأسماء والصفات ومعرفة الله جَلَّجَلَالُهُ.

قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

هذه الآيات من سورة طه تربي في المسلم عظمة الله تبارك وتعالىٰ فله الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، فمن عرف الله حق معرفته امتلأ قلبه تعظيمًا له واستشعر قربه منه وأكثر من مناجاته ودعائه ولزم عتبة العبودية.

هو الله -تعالىٰ- وحده الذي يجب أن يخلص الخلق له العبادة والطاعة، ولا أحد غيره يستحق ذلك، وهو صاحب الأسماء الْحُسْنىٰ والفضلىٰ والعظمىٰ، لدلالتها علىٰ معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والنهاية في السمو والكمال[١].

وله الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنىٰ، من حسنها أنها كلها أسماء دالة علىٰ المدح، فليس فيها اسم لا يدل علىٰ المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاما محضة، وإنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة علىٰ الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠][٢].

وقال الشَّنقيطيُّ في (أضواء البيان): «فصفة الله بالغة من الكمال والتنزيه ما تتعاظم أن تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق تتعاظم أن تشبه ذوات المخلوقين»[٣].

٤- ترك تعظيم المخلوقين ورفعهم فوق منزلتهم:

ومن تلك الطرق التي توصلك لتعظيم الله تبارك وتعالىٰ، خلو القلب من تعظيم البشر ورفعهم فوق منزلتهم، سواءً كانوا صالحين أو ظلمة طغاة عاتين، وعند تأمل سورة طه وجدت ما يوحي إلىٰ هذا المعنىٰ، قال تعالىٰ حاكيًا جواب سحرة فرعون بعدما دخل الإيمان في قلوبهم وامتلأت بتعظيم ربها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

فالإنسان الذي يستقوي بظالم ويجعله إلهًا يعبده من دون الله، لا بد له من يوم يرىٰ فيه مذلته وخذلانه، ومن يستقوي بالله تعالىٰ ويستحضر عظمته في قلبه يكون عزيزًا شامخًا يحيا عزيزًا قويًا ويموت حين يموت، ثابت النفس، قوي العزيمة، اصطفاه الله تعالىٰ لمرضاته وحسن جزائه، تأمل حال السحرة في قصة فرعون لما كانت نفوسهم خالية من توحيد لله وعظمته كيف كانت تتقرب من فرعون بل جعلته هدفًا تصبوا إليه وتريد القرب منه قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء]، ولمَّا آمنوا وعظَّموا ربَّهم؛

(١) انظر: الوسيط للطنطاوي (٩/ ٨٩).
(٢) انظر: تفسير السعدي (٥٠١).
(٣) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي (٢/ ٤٠٥).

هانت عليهم دنياهم، وأصبحت نفوسهم تتوق إلىٰ ربِّها، فقالوا بعد ما مُلئت نفوسهم بتعظيم ربِّهم وإيمانهم به، ولن نقدم طاعتك علىٰ طاعة خالقنا بعد أن ظهر لنا الحقّ، فافعل ما أنت فاعله، ونفذ ما تريد تنفيذه في جوارحنا، فهي وحدها التي تملكها، أما قلوبنا فقد استقر الإيمان فيها، ولا تملك شيئا من صرفها عما آمنت به فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ تصريح منهم بأن تهديده لهم لا وزن له عندهم، ورد منهم علىٰ قوله: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ٧١][1].

فصبروا ومضوا إلىٰ ربهم شهداء بررة بعدما كانوا في أول النهار من الكفرة الفجرة، فتعظيم الله وتوحيده يغيّر النفوس ويجعل البلاء نعمة في سبيل مرضاته تبارك وتعالىٰ.

٥- تعظيم أمر الدعاء وجعله من أولويات:

وهو أنفع الأدوية وأقوىٰ الأسباب متىٰ ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإن الله لا يخيب من رجاه، ولا يرد متضرعًا اعتصم به، وهذا هو هدي الأنبياء عليهم السلام في بداية رسالتهم تأمل دعاء موسىٰ عليه السلام ومناجاته قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه]، فالدعاء من أهم طرق تحقيق تعظيم الله تعالىٰ.

٦- طلب الزيادة من العلوم والمعارف:

قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه]، فكلما زاد علم الإنسان عرف نقص نفسه ومقدار جهلها فيما مضىٰ وفيما يستقبل من أمره وأدرك عظمة الله تعالىٰ بعلمه بكل صغيرة وكبيرة، فعلم الله تعالىٰ لا يسبقه جهل ولا يعتريه نسيان كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾[طه]، وبُني آدم مهما وصل من العلوم أدرك لا محالة بنقصه وعظيم جهله في كل أحواله، فإذا أدرك نقصه ومقدار جهله ورد العلم إليه انتفع الإنسان بعلمه وزاده تواضعًا وخشية وتعظيمًا لربه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨].

واستُدل بالآية علىٰ فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب الزيادة منه، وذكر بعضهم أنه ﷺ ما أمر بطلب الزيادة من شيء سوىٰ العلم. وكان ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي،**

(١) انظر: تفسير المراغي (١٦/ ١٣١).

وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا»، وكان يقول: «اللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَعِلْمًا»، وما هذا إلا لزيادة فضل العلم وفضله أظهر من أن يذكر، نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا الزيادة فيه ويوفقنا للعمل بما يقتضيه(١).

٧- المسارعة في الخيرات:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾ [طه].

من آثار تعظيم الله تعالىٰ الاسراع في العمل الخيري وتقديمه علىٰ كل عمل، فمن أراد أن يقيس تعظيم الله في قلبه، فلينظر إلىٰ مسارعته للأعمال التي أمر الله بها، فعندما قرب موسىٰ عليه السلام من الطور ومعه قومه سبقهم شوقًا إلىٰ سماع كلام الله فقد ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: وعجلت إليك رب لترضىٰ قال: شوقا، وكان عليه الصلاة والسلام، إذا أمطرت السماء خلع ثيابه وتجرد حتىٰ يصيبه المطر ويقول: إنه حديث عهد بربي فهذا من الرسول ﷺ وممن بعده من قبيل الشوق والإسراع إلىٰ ما يحبه الله؛ ولذلك قال الله تبارك اسمه فيما يروىٰ عنه: طال شوق الأبرار إلىٰ لقائي وأنا إلىٰ لقائهم أشوق(٢) .

فعن ابن عبَّاس، قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقىٰ جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، قال: فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة(٣).

٨- ذكر الله جَلَّجَلَالُهُ:

إنَّ من أهم ما يعين علىٰ تعظيمه سبحانه وتعالىٰ كثرة ذكره، ولأجل ذلك بنيت جميع العبادات علىٰ فرضية الذكر الإلهي قال تعالىٰ في أول لقاء مع كليمه موسىٰ في الواد المقدس، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه]، بل جعله موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أهم أهدافه في دعوته: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه].

وعندما أرسله الله مع أخيه هارون أوصاه ألا يفتر عن ذكره كما قال تعالىٰ: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢﴾ [طه]. وجعل الحسرة والندامة والضنك لمن أعرض عن

(١) انظر: تفسير الألوسي (٨/ ٥٧٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٣).
(٣) أخرجه البخاريُّ (١٩٠٢، ٤٩٩٧)، ومسلم (٢٣٠٨).

ذكره، لأن كثرة الذكر أقرب الطرق لتحصيل عظمة الله في النفوس، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

وحكىٰ عنه سبحانه ما لأجله دعا بهذا الدعاء فقال: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه]، لكي ننزّهك عما لا يليق بك من الصفات والأفعال التي من بينها ما يدّعيه فرعون الطاغية، وفئته الباغية من الألوهية له، ونذكرك وحدك ابتغاء مرضاتك، دون أن نشرك معك غيرك أثناء أداء الرسالة، ودعوة المردة الطّغاة إلىٰ الحق[١] .

٩- إدراك حقيقة الدنيا وجعلها مطية للآخرة:

قال تعالىٰ مبينًا حقيقة هذه الحياة: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه]، ولا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلىٰ أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها -بقطع النظر عن الآخرة- القوم الظالمون، ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ [الكهف: ٧]، وفي هذه الآية إشارة إلىٰ أن العبد إذا رأىٰ من نفسه طموحًا إلىٰ زينة الدنيا، وإقبالًا عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا[٢].

ولما رأىٰ السَّحرة، وعرفوا حقيقة الدنيا قالوا: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، والقصر المستفاد من (إنَّما) قصر موصوف علىٰ صفة، أي: إنَّك مقصور علىٰ القضاء في هذه الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلىٰ القضاء في الآخرة ، فهو قصر حقيقيّ[٣].

١٠- أن تكون مشاعرك كلها منضبطة بشرعه:

قال تعالىٰ: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾﴾ [طه]، فمن

(١) انظر: تفسير المراغي (١٦/ ١٠٧).
(٢) انظر: تفسير السعدي (٥١٧).
(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٦/ ٢٦٧).

صور تحقيق التعظيم ضبط مشاعر النفس في الغضب والرضا والحب والكره، حتىٰ لا يقع الإنسان في الإفراط والتفريط.

١١-سرعة امتثال أوامر الله تعالىٰ وطلب مرضاته:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]، إذا عُظِّم الله في القلب كان الإسراع في مرضاته أمرًا بدهيًا، فكلما زاد التعظيم لله، كلما كان الإنسان أشد تطلبًا إلىٰ تلمس مرضاته واستنزال رحماته.

وخلاصة معذرة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إني اجتهدت أن أتقدم قومي بخطًا يسيرة، ظنا مني أن مثل ذلك لا ينكر، فأخطأت في اجتهادي، وقد حملني علىٰ ذلك طلب الزيادة في مرضاتك، وكأنه عليه السلام يقول: إنما أغفلت هذا الأمر مبادرة إلىٰ رضاك ومسارعة إلىٰ الميعاد، والموعود بما يسرّ يود لو ركب أجنحة الطير ليحظىٰ بما يبتغىٰ ويريد[1].

١٢- التَّأدُّب معه جَلَّجَلَالُهُ بتعظيم ما شرّف وقدّس:

قال تعالىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه]، قيل: أمر بخلع النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالىٰ، وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت إعظاما لذلك الموضع، فكما أن الحرم لا يدخل بنعلين إعظاما له. قال سعيد بن جبير: قيل له طإ الأرض حافيًا كما تدخل الكعبة حافيا. والعُرف عند الملوك أن تخلع النعال ويبلغ الإنسان بذلك إلىٰ غاية التواضع[2].

١٣- الاستعداد ليوم المعاد:

إنَّ ممَّا يثير تعظيم الله في القلوب تذكر مشاهد وأهوال مواقف الحشر والحساب يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، فترىٰ في ذلك الموقف العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين علىٰ ركبهم، عانية وجوههم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يفعل به، قد اشتغل كل بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه ﴿لِكُلِّ

(١) انظر: تفسير المراغي (١٦/ ١٣٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٠).

ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ [عبس] فحينئذ يحكم فيهم الحكم العدل، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان.

والأمل بالرَّبِّ الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرىٰ الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه فيختص المؤمنون به وبرسله بالرحمة.

## المراجع والمصادر


١- تهذيب اللغة للهروي .

٢- مقاييس اللغة لابن فارس .

٣- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني .

٤- لسان العرب لأبن منظور .

٥- معجم اللغة العربية المعاصر.

٦- مختار الصحاح.

٧- الحجة في بيان المحجة.

٨- مدارج السالكين لابن القيم.

٩- نظم الدرر للبقاعي.

١٠-صحيح البخاري.

١١-تفسير السعدي.

١٢-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب.

١٣-تفسير الوسيط.

١٤-تفسير العذب النمير من مجالس الشنقيطي.

١٥-تفسير المراغي.

١٦-تفسير القرطبي.

١٧-تفسير الألوسي.

١٨-تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

١٩-تفسير ابن كثير.